سبعة مليمترات من الجحيم!

الهامي مجدي

(كان دائما يتحدث بعبارات غير مفهومة منذ أن جاء إلى هنا، وأكثر ما كان يكرره هو لفظ : (الثلاجة).. لقد رأيت ما بداخل (الثلاجة) !!

* * *

obeikan.com

- اسمك هو (أحمد المهدي).. أليس كذلك؟!

هذا هو المكتوب في تقرير حالتي أمامك.. ملاحظة جيدة!

- لا بأس.. (فريد الحسيني) أعمل محاميا وقد وكلتني عائلتك للدفاع عنك!

- ثم!

- قبل أن نتابع ، هل يمكنك التوقف عن نقر القلم للحظة؟ رجاءً!

رمقه (أحمد) بنظرة جانبية وهو لا يزال ممسكا بقلم (فريد) ، ثم ما لبث أن وضعه على السرير بجانبه ثم اعتدل محدقا في المحامي بعينين ضيقتين..

كان ذلك عادلا كفاية بالنسبة لـ(فريد) الذي أخذ نفسا عميقا ثم قال:

- جيد جدا ، والآن لنعاود حديثنا: أتعرف لِمَ أنا هنا؟ أو بالأحرى.. أتعرف لمَ أنت هنا؟!

- هل أنا في تحقيق أو ما شابه؟! ما قصة هذه الأسئلة كلها؟

- هذا ليس تحقيقا ، أنا أنقذك من تحول هذا الأمر إلى تحقيق ومن ثم إلى ما هو أسوأ!!

- لا شأن لك بي.. لست في حاجة إلى من ينقذني!!

قالها بلهجة عصبية محذرة ولسان حاله يقول: (ارحل الآن ، فالخطوة التالية لن تعجبك!).

تأمل (فريد) عينيَّ الشاب الحمراوين كأنهما عشرات من الثعابين الجحيمية المفزعة ، وحينها أدرك الأمر..

تلك عينان لم تذوقا طعم النوم منذ ليالٍ طويلة!

حينها قرر أن يرخي الحبل معه قليلا كي لا يفقد ثقته فيه فعاد يقول بلهجة هادئة:

- حسنا دعنا نتحدث عن المكوث هنا قليلا ، هل يعجبك البقاء في هذا المكان؟ أراهن أنك قد اشتقت لوالدك ووالدتك.. هل هذا صحيح؟!

- المكوث هنا كالمكوث هناك كالمكوث في أي مكان.. جميع الأماكن تصير متشابهة عندما يفتح الجحيم أبوابه!

- عن أي جحيم تتحدث؟!

- الثلاجة! لقد رأيت ما بداخل الثلاجة!

- آه، إذًا فما أخبرني به د.حسام صحيح.. وما الذي رأيته في الثلاجة؟!

- وبأي صفة تسأل أنت؟!

- بصفتي صديقًا يريد مساعدتك لا أكثر ، ماذا رأيت هناك؟

- لقد كان المكان مظلما حينها ، لكنني على الرغم من ذلك استطعت أن أميز ما هناك ، دقات قلبي التي أصابها مس من الجنون وأناملي المرتعشة الممتدة نحو بابها خشية مما سأراه حذرتني ألا أفعلها ، لكنني مع هذا كله فتحت الباب و.. رأيتها!

لاحظ (فريد) تصاعد أنفاسه وهو يروي الأحداث كأنه يراها أمامه بعينين متسعتين تنظران إلى اللاشيء.. كأنه قد غادر المكان ولم يعد هنا في ذاك المشفى أو بتلك الغرفة الصغيرة بقسم الأمراض النفسية والعصبية!

- أتقصد (سارة)؟!

- لا تذكر اسمها!!

- ما دمت تخاف عليها إلى هذا الحد لِمَ فعلت ما فعلته؟!

- لم أفعل شيئا!

- أين (أحمد) المسالم الذي يشهد له الجميع بحسن الخلق؟ كيف يقدم على ارتكاب جريمة بشعة مثل تلك؟!

- لم أفعل شيئا!!
- كيف تقتل خطيبتك؟!
- أصمت!! أنا لم أقتلهاااا.. (سارة) لم تمت.. أتفهم؟ لم تمت!!
ولم يشعر (أحمد) بنفسه وهو يقفز ممسكا بـ(فريد) من تلابيبه في ضراوة وقسوة وعيناه تضمران شرا..
وظل محكما قبضته حول عنقه حتى انتفخ وجهه في شدة والزرقة عليه تصرخ بأن الرجل على وشك أن يفقد حياته على متن قطار ذهاب بلا عودة!
ولولا أن الباب قد فُتح في سرعة وعنف ليكشف عن رجلين ضخمي الجثة أسرعا يخلصان (فريد) من بين قبضتي (أحمد) لكان الرجل يستمتع بالترافع عن الشياطين في الجحيم الآن!
تمكن القطاران البشريان من شل حركة الشاب الثائر تماما على الرغم من محاولاته المستميتة للمقاومة ، لكن آخر لمحاتها قد تبددت حينما أفرغ أحدهما محقنا في وريده المنتفخ فارتخت أطرافه في لحظات..
ثم وضعاه على السرير مرة أخرى و(فريد) يراقب ما يحدث ممسكا بعنقه غير مصدق أنه قد نجا!
ومن خلف مقعده سمع صوتا هادئا يقول:
- لقد حذرتك سابقا ، لا يمكنك أن توجد وحدك مع هذه الحالة ، فردود فعله غير مستقرة وغير متوقعة في الوقت نفسه!
- د.حسام.. أشكرك على نصيحتك تلك ، لكن الأمانة التي يقتضيها عملي هي أن أحافظ على أسرار موكلي بيني وبينه فقط.. ليس إلا!
رمقه الطبيب فاره القامة ذو العوينات الطبية دون اكتراث قبل أن يعلق قائلا:

- أنتم أيها المحامون تظنون أنكم تعرفون كل شيء ، أنت لا تتعامل مع حالة طبيعية هنا يا سيد (فريد).. أنت تتعامل مع قاتلٍ لا رحمة لديه لم يتوانَ عن قتل خطيبته للحظة واحدة.. وبأبشع طريقة ممكنة!

- لم يثبت هذا حتى هذه اللحظة ، والمتهم بريء حتى تثبت إدانته إن كنت قد نسيت ذلك!

- لا فائدة مما تفعله ، المريض سوف يواصل إنكاره لما حدث ، ليس مراوغة منه ، لكن لأنه - فعليا - لا يعرف أنه قد فعل هذا!

- إذًا ، هذا ما توصلت إليه من تشخيصك؟!

- أجل، (أحمد) لديه حالة (سكيزوفرينيا) حادة حدثت في الغالب نتيجة للضغط النفسي المريع الذي شعر به عندما قتل خطيبته لذلك ، ونتيجة للصدمة فقد أصبح له شخصيتان: شخصية القاتل الذي ارتكب الجريمة ، وعلى الأرجح أنها في حالة من السبات المؤقت الآن ، وشخصية أخرى تنكر ما حدث ، وما زالت عند مرحلة ما قبل ارتكاب الجريمة ؛ لذلك هو يظن أن خطيبته لا تزال على قيد الحياة!

- وما الدليل على أنه مَن ارتكب الجريمة في الأصل؟!

- سيد (فريد) ، لا تجعل تعاطفك مع الحالة يعمي عينيك عن الحقائق البيّنة ، ألم تقرأ ملف القضية؟!

- بلى لقد قرأته و...

- إذًا أنت تعلم أن الضحية قد ظلت مختفية لمدة شهر كامل دون أن يعلم أحد عنها شيئا حتى أهلها ، والقاتل نفسه كان يتظاهر بأنه لا يعرف عن الأمر شيئا إلى...

قاطعه (فريد) هذه المرة قائلا:

- إلى أن بدأت تصرفاته الغريبة وحديثه عن (الثلاجة) وأنه يرى خطيبته

مقتولة فيها إلى آخر هذا الأمر.. أجل لقد قرأت ملف القضية يا دكتور وأعرف أن الشرطة قد ألقت القبض عليه في مخزن مهجور وقد عثروا في داخله على (الثلاجة).. وعلى جثة الضحية المقطّعة بداخلها!!

- وبعد ذلك كله تريد أن تدافع عن ذاك القاتل؟!

- ولِمَ تحاملك الزائد عليه ذاك؟ أنت تواصل نعته بـ(القاتل) أو (الحالة) ، لِمَ هذا كله؟!

- لأنني لا أتصور مقدار البشاعة التي قد يكون عليها بعضهم ، أنا لا أكره شيئا على الأرض مثلما أكره العنف والقتل.. أمثاله يستحقون الموت ، وهذا ما سيناله!

- أنت لست قاضيا ، وأنا لست كذلك ؛ لذا دعنا لا نصدر نحن الحكم وليقُم كل منّا بعمله فقط ، والآن إذا سمحت لي ، لقد بدأ موكلي في الاستفاقة مرة أخرى وأرغب في متابعة حديثي معه!

- ليس من دون (سالم) و(صبحي) معك هذه المرة ، آخر ما أرغب في رؤيته هو جثة أخرى إن كنت تفهم ما أعني!

بدا أن الأمر محسوم من خلال نظرة الطبيب القاطعة وصوته الحازم ؛ لذلك لم يجد (فريد) بدًّا من الإبقاء عليهما ، تاركا إياهما ينظران إليه في ترقب وشك..

يتحدث عن كراهيته للعنف والوحشية حقا.. ماذا عن هذين الماردين إذًا؟!

وما إن خرج الطبيب حتى التفت (فريد) ناحية (أحمد) الذي بدأ يستعيد وعيه محاولا أن يفتح عينيه ، فأشار إليه (فريد) سائلا:

- أنت لن تُقدم على أي فعلٍ آخر.. أليس كذلك؟!

صمت (أحمد) للحظات محدقا في السقف دون أن يجيب عن تساؤل

(فريد) ، فعاود الأخير سؤاله مجددا قائلا:

- هل سمعتني؟ كنت أقول إنك لن...

- فتاة صغيرة وأمها هذه المرة ، تلك هي المرة الأولى التي أرى فيها اثنتين معا! لقد احترقتا حيتين!!

- معذرة.. عن أي فتاة تتحدث؟!

- هل تظن أن تلك نعمة أم نقمة؟! أعني قد يبدو الجحيم مميزا بالتأكيد ، لكنه أمر مفزع لا يمكن تصوره.. تخيل أسوأ ما قد رأيته في كوابيسك ثم اعتبره بالنسبة له كعالم سحري من الجنيات والفراشات الطائرة، لا شيء أبدا يشبه الجحيم!

- عليَّ أن أعترف.. لقد بدأت تخيفني قليلا الآن! هل يمكن أن ندع الحديث عن الجحيم جانبا ونتحدث أكثر عما حدث هناك في المخزن المهجور؟!

- المخزن هو أيضا جزء من الجحيم ، لقد رأيته في إحدى الرؤى والإبصارات التي تأتيني!

- رؤى؟!

- هل معك قداحة؟!

- أجل ، لكن ما أعرفه أنك لا تدخن.. كما أن التدخين ممنوع في المشفى من الأساس!

- لا، لا أريد التدخين.. أريد أن أتأمل لهيبها فقط ، النار.. العذاب والنجاة في آن واحد!! لقد استخدموها في الماضي لعلاج الجروح المميتة في الحروب واستخدموها كذلك لتعذيب الناس وحرقهم أحياء! أليس هذا غريبا؟!

- (أحمد) حاول أن تركز.. كيف علمت أن (سارة) موجودة في ذاك

المخزن المهجور على الرغم من أن أحدا لم يطأه منذ سنوات؟! إن لم تكن أنت من فعلها فكيف علمت بذلك؟!

- لقد رأيتها ، رأيتها كما رأيت كل شيء آخر ، لقد بدأ الأمر منذ مدة.. في كل ليلة أذهب فيها للفراش كي أنام تبدأ تلك الرؤى: دماء كثيرة، أصوات صرخات وتوسلات بألا أقتلهم وأن أتركهم على قيد الحياة.. النار أحرقت الكثيرين، منهم نساء وأطفال.. فتيات صغيرات وشيوخ كذلك.. الجميع يُقطَّعون كاللحم بلا رحمة!!

- يا إله السماوات!! أهي كوابيس أم ماذا؟!

- لقد تخطى الأمر مرحلة الكوابيس.. الأمر أشبه بفتحة ما من الجحيم قد فُتحت في عقلي، مجرد أن أغمض عينيَّ أرى الضحايا غارقة في دمائها، لكن هذه ليست المشكلة الوحيدة!!

كان يتصبب عرقا الآن وعيناه ترتجفان في فزع وهو يقول بصوت متحشرج:

- لقد كنت أرى ذلك دوما من موقع القاتل، كنت أرى ذلك كله كأنني أنا من أفعله! أنا من يرى تلك العيون التي تصرخ رعبا وهي تستنجدني كي لا أقتلها، لكنني لم أكن أتوقف عن الطعن والدماء تتفجر في وجهي لتغطي عيني.. أحرقتهم أحياءً ووقفت لأشاهدهم وهم يركضون والنيران تلتهم أجسادهم في مشهد لن يمحى أبدا من مخيلتي.. لقد كان كل شيء حقيقيا.. حقيقيا إلى حد مفزع لا يصدق!!

- لهذا لم تستطع النوم إذًا.. وهل رأيت (الثلاجة) في واحدة من تلك الرؤى أيضا؟!

- أجل، لقد رأيت كل شيء.. كل شيء!! لقد كنت أمرر السكين على عنقها وهي تنظر إليَّ وتبكى في خوف.. أناتها وصرخاتها كانت تصل إلى عظامي،

لكنني لم أستطع التوقف.. كنت أذبحها وأراقب عينيها اللتين جحظتا في شدة والموت يتسلل إليهما ليحل محل بريقهما، قتلتها وجلست لأتأمل شعرها الأسود الفاحم وقد تناثر وسط بركة الدماء التي تفجرت من عنقها.. لن أنسى ذلك أبدا ما حييت.. لن أنسى كيف أخذت أقطعها.. لن أنسى أن تلك كانت يوما خطيبتي.. لن أنسى ضحكاتنا ومزاحنا معا.. وضحكاتي وأنا أسحق عظامها.. لمستها الرقيقة على يدي.. وإلقائي لأجزائها كأنها قطعة من اللحم لا قيمة لها!! هل أنا من قتلتها؟! يبدو أنني من قتلتها!! أخبرني بالله عليك هل أنا من قتلها؟! أنا لاا أعرف.. أقسم إنني لم أعد أعرف.. أريد لهذا أن ينتهي.. أرجوك اجعل هذا ينتهي الآن.. (ساااارة).. أأنا من قتلك بهذه الطريقة البشعة؟! أقسم إنني لا أذكر.. لا أعرف كيف حدث هذا.. إنها العين.. العين هي التي رأت ذلك.. أنا آسف (ساااارة)، فقط عودي ولن أفعلها مجددا.. عودي فقط.. أرجوكِ!!

لم يتمالك (فريد) نفسه وهو ينظر إلى (أحمد) الذي أخذ يصرخ ناظرا إلى الفراغ كأنه يرى فيه خطيبته وأخذ يشير إليه بيديه متوسلا كي تعود والدموع تغرق وجهه دون توقف!

عندها أمسك به الرجلان مرة أخرى وحاولا تهدئته وهو يصرخ قائلا:

- دعاني! إنها هناك وحدها في ذاك البرد القارس، يجب أن أذهب إليها، ها هي.. إنها تشير لي ببسمتها الرقيقة.. ابتعدااااا عني.. (سارة) لن تموت.. سوف يصبح كل شيء على ما يرام كما كان في السابق.. وسوف نعود معا مجددا.. أعدك بذلك!

نهض (فريد) من على الكرسي وقد اغرورقت عيناه بالدموع، وقبل أن يذهب إلى خارج الغرفة نظر إلى (الكومود) بجوار فراش (أحمد) فوجد ورقة بيضاء مرسوما عليها علامة غريبة الشكل..

فمد يده آخذا الورقة قبل أن يفتح الباب دالفا إلى خارج الغرفة!
وفي الخارج كان (حسام) يجلس بانتظاره فلمّا رآه خارجا قال بسخرية:
- ألم أقل لك لا فائدة؟! على كلٍّ لقد أنهت النيابة تحقيقاتها والقضية محسوم أمرها.. سوف يُعدم لا محالة!
- سوف نرى حيال ذلك!! أخبرني ما هذه الورقة بالضبط؟!
- آه، أتقصد تلك الرسمة؟! لا أعرف.. لقد سمعته يقول إنه يراها كثيرا في أحلامه الغريبة تلك!
- حسنا لقد انتهى دوري هنا الآن، لكن إليك نصيحة أخيرة أيها الطبيب.. اتق الله في ذاك الشاب؛ فقد أوصلتموه إلى مرحلة أصبح معها لا يعرف إن كان هو من فعلها حقا أم لا.. لقد صار يشك حتى أنه قد قتلها دون أن يشعر!! هل تفهمني يا... يا من تكره العنف؟!
قالها ثم مضى مبتعدا تاركا من ورائه (حسام) يتأمله في غيظٍ وحقد..
ليس أمامه الآن سوى طريق واحد فقط!

* * *

- من فضلك يا أستاذ (أشرف) حاول أن تتذكر أي شيء.. أنا مقدر لمشاعرك، لكن لا يزال هناك أمل وقد نستطيع إنقاذه بأي معلومة تقولها!
- صدقني يا بني لقد أخبرتك بكل شيء، أخبرني إن كان هناك ما يمكن فعله وسوف أفعله على الفور دون تردد حتى ولو أخذوني بدلا منه.. لكن فقط أعده إلى أمه المسكينة؛ فهي لم تنهض من الفراش منذ أن أخذوه!
- لا حول ولا قوة إلا بالله، خير إن شاء الله.. هل حدث أمر مهم منذ

أن اختفت خطيبته - رحمها الله - ومنذ أن بدأت تصرفاته الغريبة في الحدوث؟!

-على العكس، لقد كانت الأمور تسير على خير إلى أن حدث ما حدث لـ(سارة) - رحمها الله - حتى إن (أحمد) أصر وقتها على الإسراع بتقديم موعد العملية لكي يبحث عنها بنفسه، وما لبث الطبيب أن أخبرنا بعدها بأسبوع تقريبا حتى...

- عذرا على المقاطعة يا أستاذ (أشرف)، لكن أي عملية تقصد؟!

-ألم يخبرك (أحمد) بذلك؟! عملية (زراعة القرنية) يا بني، فقد كان (أحمد) يعاني (عتامة في القرنية) كانت تؤثر على رؤيته، وحتى لا تتطور الأمور إلى ما هو أسوأ فقد أخبرنا الطبيب بضرورة إجراء عملية (زراعة للقرنية) في المركز الخاص به.. انتظرنا حتى تمكن الطبيب من الحصول على واحدة ثم ذهبنا لإجراء العملية على الفور!

- لماذا لم تخبرني بهذا من قبل؟! هل يمكنك أن تعطيني عنوان المركز الذي أجريتم فيه العملية؟ بسرعة رجاءً!!

-حسنا يا ولدي، لكن فيم تفكر؟!

نظر إليه (فريد) للحظات ثم قال بلهجة غامضة وهو يتأمل عينيه في المرآة:

- إنها العين.. العين هي التي رأت ذلك، الأمر أشبه بفتحة ما من الجحيم قد فُتحت في عقلي، وأنا سوف أبحث عبر فتحة الجحيم هذه.. حتى أرى أيضا!!

* * *

- ما تقريرك عن الحالة د. حسام؟ فهذا هو ما سيحسم الأمر!
نظر (حسام) إلى الضابط الذي نطق بالعبارة ثم هز كتفيه قائلا:
- تشخيصي المبدئي لحالته كان خاطئا، فقد ظننت أن لديه حالة (سكيزوفرينيا) ، لكن بعد الفحوصات تبين أن قواه العقلية سليمة مائة بالمائة ، أي أنه قد ارتكب الجريمة وهو في كامل قواه العقلية!!
- هكذا إذًا.. لقد كان هذا واضحًا، فقد أمسكنا به وهو يفتح (الثلاجة) التي وضع بها ضحيته، ولا أحد غيره يعلم بذاك المكان المهجور.. لا شك في أنه القاتل!!
- لا بد للعدالة أن تأخذ مجراها، هل سيكون الحكم نهائيا؟!
- المحاماة لم تقدم دليلا كافيا حتى الآن.. لذلك فالإعدام في انتظاره بكل تأكيد!
- هل تريدون تنفيذ حكم الإعدام في شخصٍ ميت من الأساس؟! كيف يعقل هذا؟!
التفت الضابط و(حسام) في آن واحد إلى الصوت القادم من خلفهما.. ولم يكن الصوت قادما سوى من (فريد) الذي وقف يلهث بصوت مرتفع وقد بدا أنه أتى ركضا ومِن ورائه أتى رجلٌ آخر أبيض الشعر وقور الملامح وقد بدت عليه العجلة كذلك!
تساءل (حسام) في دهشة:
- شخصٌ ميت؟! ما الذي تتحدث عنه يا سيد (فريد)؟ أتلك خدعة أم ماذا؟!
- دعني أولا أقدم لك د. محمد البرادعي - خبير جراحة العيون بمركز (....) - وهو من سيشرح الأمر.. تفضل يا دكتور!
- منذ أكثر من شهر جاءني شاب يدعى (أحمد المهدي) يعاني (عتامة

في القرنية) وقد أخبرته أن الأمر يلزم تدخلا جراحيا لزراعة قرنية بديلة (٧ مليمترات) منها تحديدا!

لأن متبرعي هذا النوع من العمليات تكاد نسبتهم تكون منعدمة، فنحن نعتمد في الغالب على قرنية مأخوذة من شخص متوفًّى حديثا لنزرعها له، وبالتالي فقد طلبت منهم الانتظار إلى أن أجد قرنية مناسبة لنجري العملية.. وبعد مرور عشرة أيام تقريبا أخبرني صديق لي يعمل في مشفى (....) عن وصول حالة إليهم مصابة بطلق ناري في القلب أدت إلى وفاتها فور وصولها إلى المشفى مباشرة، ومن أحضروه قالوا إنه من دون أهل أو أقارب.. أي أنه حالة مناسبة تماما!

بعد أن قام صديقي بحفظ عيني الرجل قمت بالاتصال بالسيد (أحمد) على الفور وطلبت منه الحضور لإجراء العملية.. وبالفعل قمت بأخذ قرنية الرجل التي كانت في حالة ممتازة وقمت بزراعتها في عينيه لتتم العملية بنجاح!

علت الصدمة وجهي الضابط و(حسام).. ثم قال الأول في لهجة حازمة: بالنسبة لجزئية زراعة القرنية بهذا الشكل ومدى قانونيته فسوف نتحدث عنه لاحقا، أما الآن فما علاقة هذا بالقضية؟!

ابتسم (فريد) وأخرج ورقة بيضاء من جيبه قائلا:

هذه الورقة أخذتها من هنا من غرفة (أحمد) وقد أكد لي د. حسام أنه من رسمها كعلامة يراها في أحلامه كثيرا.. حسنا إليكم تلك المفاجأة الآن!

أخرج من جيبه (محمولا) من النوع الذي يحتوى على كاميرا تصوير ثم ضغط على عدة أزرار فيه قبل أن يتوجه ناحية (حسام) والضابط قائلا: انظرا جيدا إلى هذه الصورة وأخبراني ماذا تريان.

حدّق الرجلان في الصورة قليلا ثم قال (حسام) بغير فهم:

ما الشيء المميز في رجلٍ منزوع العينين؟ إلامَ تشير؟!
ضغط (فريد) على زر آخر ثم قال:
ماذا عن الآن؟!
دققا النظر في الصورة ثم غمغم الضابط قائلا:
لا يبدو لي أن شيئا قد تغير و... ما هذا بحق السماء؟!
اتسعت عينا الضابط عن آخرهما وهو يحدق في نقطة بعينها في الصورة وقد قام (فريد) بتكبيرها والتركيز عليها، أما (حسام) فقد قال بعينين مشدوهتين:
- ذاك الوشم على ذراعي الرجل.. إنه يشبه الرسم تماما!
أومأ (فريد) برأسه مؤكدا في ظفر:
- بالضبط!! وهذا ما يقودنا إلى التساؤل المنطقي: كيف استطاع (أحمد) أن يرسم ذاك الوشم المعقد لرجل لا يعرفه كأنه يراه رأي العين بدقة هكذا.. إلا إذا كان بالفعل قد رآه رأي العين؟!
ارتفع حاجبا (حسام) متسائلا في حذر:
- و... الذي تعنيه هو...؟؟
- بعد أن أخبرني د. محمد عن الرجل الذي أحضر منه القرنية ذهبنا معًا إلى المشرحة وأخبرناهم أن الأمر خطير وقد يعني حياة أو موت شخص بريء وعلى ضمانة الدكتور الشخصية قمنا بفحص الجثة ورأيت تلك الوشوم على ذراعيه.. عندها تأكدت نظريتي.
صمت قليلا ليبتلع ريقه ثم ما لبث أن قال مفجرا قنبلته:
- ذاك الرجل هو القاتل!! وما حدث هو أنه قد قُتل إما على يد مجرم آخر وإما على يد أحد أفراد الشرطة.. ليس هذا هو المهم.. وقد أوصلته الصدفة البحتة إلى د.محمد الذي بدوره أخذ قرنيته لكي يزرعها في عيني

(أحمد) دون أن يعلم أنه يزرع له جمرتين من الجحيم في حقيقة الأمر؛ لأنه قد زرع له عيني قاتل قد رأتا العشرات من ضحاياه سابقا!!

عقد الضابط ذراعيه أمام صدره ثم قال في نفاد صبر:

أتظن أن أحدا سيصدق هذا الهراء؟! يبدو لي ذلك أشبه بفيلم خيال علمي! أين الدليل؟

- بالطبع أنا لم أكتفِ ببناء استنتاجاتي على محض افتراضات، لقد أخذنا بصمات جثة الرجل بعدها وقمنا بالبحث عنها وكانت الصاعقة!! الرجل (مسجل خطر) وقد حُكم عليه في قضية قتل سابقا واعتُقل فيها، لكن يبدو أنه قد هرب بعد ذلك، وخمن ماذا كانت قضية القتل تلك؟؟ امرأة وابنتها أحرقهما حيتين! وذلك هو بالضبط ما قال (أحمد) إنه قد رآه، إضافة إلى جرائم أخرى لا بد من أنها لم تكن قد اكتُشفت لذاك القاتل وآخرها كانت المسكينة (سارة) - رحمها الله - التي رأى (أحمد) عملية قتلها كاملة من خلال عيني قاتلها اللتين زُرعتا له بمصادفة قد لا تحدث إلا مرة واحدة فقط!! وقد رسم وشمي الرجل اللذين رآهما في حلمه أو رؤياه!

- بإمكانك أن تسأل (سالم) و(صبحي) - التمرجيين - فقد سمعا (أحمد) كذلك عند حديثه عن المرأة وابنتها، وهذه هي بصمات الرجل بإمكانكم أن تعيدوا فحص جسد (سارة) أو رفع البصمات عن الثلاجة والمخزن كذلك وستجدون له حتما بصمات عليها!!

تجمدت شفتا (حسام) وهو يقول متلعثما:

- يا الله، أنا لا أصدق ما أسمعه! هل يمكن أن يظل عضو من أعضاء الجسد حاملا لمشاهد كاملة قد رآها في أثناء وجوده بجسد صاحبه؟! إن هذا الأمر سيحدث ضجة في الأوساط العلمية!!

- المهم الآن هو أن نطمئن على (أحمد) وأن يُعاد التحقيق في ظل هذه الأدلة الـ...

وقطع عبارته بغتة صوت صرخة مرعبة مريعة أسقطت قلوبهم جميعا أتت من غرفة (أحمد)!

أسرع الجميع بالركض إلى هناك يتقدمهم (فريد) الذي كان قلبه يدق كأنه في سباق الآن.. وما إن وصل إلى باب الغرفة حتى فتحها في سرعة مقتحما الحجرة قائلا:

- (أحمد).. أأنت بخيـر...؟!

ولم يكمل عبارته.. بل إنه قد وضع يده على فمه وهو يهز رأسه يمينا ويسارا في حسرة غير مصدق لما يراه، ومن ورائه توقف الرجال الثلاثة كذلك وقد صعقهم هول المنظر..

تمتمت شفتا (فريد) بعينين متجمدتين:

- لقد تحمل ذاك الفتى ما لا يقدر على تحمله بشر، وكان لا بد أن تأتي لحظة الانهيار لا محالة.. لقد رأى نفسه يقتل العشرات والعشرات من الضحايا وبأبشع الطرق الممكنة، لكن الأكثر فجاعة من ذلك هو أنه قد رأى شريكة حياته تُقتل أمامه بدماءٍ باردة وبأدق التفاصيل دون أن يتمكن من فعل شيء لإنقاذها.. بل رآها وكأنه من يفعلها حتى ظن أنه هو من قتلها بالفعل!

إن ذاك هو الجحيم بعينه.. إذا ما كان للجحيم عين!! وقد سد هو فتحتي الجحيم!

وسقط القلم المعدني الغارق في الدماء على الأرض مخلفا من ورائه ثقبين أجوفين وابتسامة عريضة على شفتي (أحمد) الذي نظر إلى الأعلى والدماء تنهال منه مرددا في هتاف جنوني:

- لا بأس (سارة).. هل تشعرين بالبرودة عزيزتي؟! لقد أصبحنا معا مجددا كما وعدتك.. أتسمعينني؟ أصبحنا معا مجددا (سارة).. هههههههههه.. أأأههههههههههههههه!!

obeikan.com